



## سعادتكم

د. فادي ناصر  
أستاذ جامعي - لبنان

## رهنٌ محبتكم

وفي الحقيقة إنّ معرفة الإنسان لنفسه هي القاعدة الأساس والمحرك لأيّ عملية تربويّة وتعليميّة، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(4)</sup>.

### حقيقة خلق الإنسان:

إنّ التأمّل في آيات خلق الإنسان يكشف أنّه يمتاز ببعدين أساسيين: هما: البعد الماديّ، والبعد الروحيّ.

أمّا البعد الماديّ المتشكّل من التراب والطين والصلصال

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾<sup>(1)</sup>؛ هذه الآية المباركة على الرغم من صغرها تعدّ مفتاحاً من مفاتيح الهداية الإنسانيّة، التي تبدأ من معرفة النفس؛ باعتبارها أنفع المعارف، حيث ورد في الحديث الشريف: «معرفة النفس أنفع المعارف»<sup>(2)</sup>، وذلك لأنّ الإنسان يستطيع من خلالها أن يصل إلى ربّه، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»<sup>(3)</sup>.

1- سورة الطارق، الآية: 6.

2- التميميّ الأمدي، عبد الواحد بن محمد: غرر الحكم ودرر الكلم، ط2، دار الكتاب الإسلامي، قم، 1410هـ، ص: 712.

3- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، دار إحياء التراث العربيّة، بيروت، 1403 هـ، ج2، ص: 32.

4- سورة المائدة، الآية 105.



والحمأ والفخار وغيرها من التعابير القرآنية، فقد أشارت إليه مجموعة من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾<sup>(2)</sup>، وفي مورد ثالث: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾<sup>(3)</sup>، وغيرها من الآيات الكريمة، التي إذا تمَّ الالتفات إليها وإلى أصل خلقة الإنسان وتربّية نشأته، فإن ذلك يمنعه من الغرور الذي يعتريه في هذه الحياة، وينبّهه إلى ضرورة الحذر من الوقوع في فخ الشهوات والرغبات والغرائز التي تجزّه بعنف نحو التراب، فلا يغفل عن وجهته الحقيقيّة، ولا يسهو عن هدفه النهائي الذي خلق من أجله.

وثمة طائفة أخرى من الآيات القرآنية، لو تأملنا فيها لاكتشفنا في الإنسان بعداً آخر غير البعد الماديّ الحسيّ الطبيعيّ، وهو البعد الروحيّ الذي عبر عنه القرآن الكريم بالروح، والنفس، والخلق الآخر وغيرها، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ... ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(5)</sup>.

1- سورة هود، الآية: 61.

2- سورة الحج، الآية: 5.

3- سورة الصافات، الآية: 11.

4- سورة المؤمنون، الآيات: 12-14.

5- سورة ص، الآيات: 71-72.

## ضرورة تربية كلا البعدين:

تبين الآيات الكريمة بشكل واضح أنّ الإنسان مكّون من قبضة تراب ماديّ محسوس يُدعى بـ «الجسد»، و«نفخة روح» غير محسوسة، ولا بدّ من الاهتمام بكلّ الجانبين في التربية والتعليم، بحيث يكون العمل عليهما متناسقاً من أجل تطويرهما معاً<sup>(6)</sup>. فكما أنّ البعد الماديّ للإنسان ينبغي أن يكون خاضعاً لقوانين صارمة في التربية والتعليم من أجل ديمومته والمحافظة عليه وعلى الحياة المادية



للإنسان، كذلك فإنّ البعد الروحيّ بحاجة - أيضاً - إلى هذه العملية، بل حاجته إلى ذلك أقوى وأشدّ؛ باعتبار أنّ الأصالة في الإنسان للروح لا للجسد؛ فالأخير ليس سوى أداة ووسيلة من أجل استمرار الإنسان وبقائه في هذا العالم. ورد في الحديث عن الإمام عليّ (عليه السلام): «إنّ للجسم ستة أحوال:

6- فرهاديان، رضا: أسس التربية والتعليم في القرآن والحديث، ط1، دار الرسول الأكرم، بيروت، 1425هـ، ص: 22.

الصحة والمرض، والموت والحياة، والنوم واليقظة، كذلك الروح، فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضاها شكها، وصحتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها<sup>(7)</sup>.

## خصائص الروح:

عندما نتحدث عن الروح، فإننا نتحدّث عن البعد المعنويّ في وجود الإنسان، والذي له صور ومظاهر عديدة منها: النفس، الخيال، العقل، والقلب. ونحن في هذه المقال المختصر سوف نحصر الكلام بالقلب، باعتباره جوهر الحياة الروحيّة عند الإنسان، وأساس حياته العاطفيّة؛ ولأنّ تأثيرات هذا الجوهر النورانيّ - المسمى بالقلب ﴿مَنْ حَثِي الرِّمَنَ بِالْعَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾<sup>(8)</sup> أو الفؤاد، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(9)</sup> - في القرآن الكريم كبيرة جدّاً على حياة الإنسان وعلاقاته مع نفسه ومحيطه، وعندما نتحدّث عن المحيط والآخر، فلا شك أنّ الحياة الزوجيّة هي من أجلى صورته.

## أهميّة العواطف في الحياة الزوجيّة:

العواطف والمشاعر من الأبعاد الأساسيّة في شخصيّة الإنسان، تنشأ جذورها في القلب وفي الفؤاد،

7- المجلسي، بحار الأنوار، (م.س)، ج85، ص: 40.

8- سورة ق، الآية: 33.

9- سورة النحل، الآية: 78.

والمعنى، والتي تؤدي

غالباً مع ازدياد وتيرة

الضغوط الحياتية

والاجتماعية إلى

تصدع الصرح الزوجي،

حيث يكون عرضة لرياح

النزاعات العائلية العاتية التي تدمر

أركانه مع مرور الوقت، وتجعله خاوياً

وضعيفاً، بدل أن يكون كل من الزوجين عوناً

للآخر ولباساً له كما يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾<sup>(2)</sup> ، واللباس هو ما

يستر به الإنسان بدنه، لكنّ الجمليتين هنا وردتا من باب

الاستعارة؛ فإنّ كلاً من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع

الفجور وإشاعته بين أفراد النوع، لكونه لباساً<sup>(3)</sup>.

فكما أنّ اللباس يحفظ الجسم من الحر والبرد وأنواع

المخاطر، ويستر عيوب الجسم، وهو أيضاً زينة للإنسان،

كذلك فإنّ الزوجين يحفظ كل منهما الآخر من الوقوع في

الانحراف ومن العيوب، ويوفّر لهما سبل الراحة والطمأنينة،

فيصبح كلّ منهما زينة للآخر. و"هذا التعبير يوضح غاية

الارتباط المعنوي بين الرجل والمرأة ومساواتهما في هذا

المجال، فالتعبير جاء للرجل كما جاء للمرأة بدون تغيير"<sup>(4)</sup>.

## أصول التربية العاطفية والمعنوية في الحياة الزوجية:

• الأصل الأول: الاعتقاد بوجود الاختلافات الطبيعية

بين الرجل والمرأة

يعدّ هذا الأصل من الأمور المهمة جداً، فقد ينظر الرجل

2- سورة البقرة، الآية: 187.

3- يراجع: الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، (لا ط)، دفتر انتشارات

إسلامي، قم، 1417هـ. ق، ج2، ص: 44.

4- الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، نشر مدرسة الإمام علي

بن أبي طالب، قم، 1321هـ. ق، ج1، ص: 537.

ولهذه الميول والعواطف

الإنسانية دور حساس

في السلوك البشري؛

إذ إنّها تتدخل في

تحديد مسار الفرد الأخلاقي

والاجتماعي والفكري، فنلاحظ

تأثيرها بشكل واضح على جسد

الإنسان، وعلى خياله وعقله؛ بل على

سلوكياته ومواقفه المختلفة، وفي جميع أبعاد

حياته خصوصاً الحياة الزوجية؛ لأنّ العنوان الأولي

الذي ينبغي أن يحكم مفاصل الحياة الزوجية هو الحب،

وهو شعور عاطفي قوي نابع من أعماق الروح الإنسانية،

يحصل عندما تنجذب هذه الروح نحو من ترى فيه كمالاً

ما، فيتعلق كلّ وجودها به، لتصبح أسيرة له. فالحب تعلق

خاص، وانجذاب مخصوص بين المرء وكماله.

وقلب الإنسان لا يتعلق إلا بمن يرى فيه كمالاً يهواه،

ويسعد به، فيميل إليه دون أيّ تفكير أو إعمال للعقل،

ومن مصاديق هذا الحب العاطفي والمعنوي؛ حبّ الزوج

لزوجته وبالعكس، نظراً للآثار الكبيرة المترتبة على هذ

الحبّ المتأسس بينهما لناحية متانة العلاقة، واستمراريتها،

وقدرتها على تحدي كلّ عواقب الحياة ومصاعبها، وأعباء

تربية الأبناء في هذا العصر؛ ولذلك كانت العلاقة العاطفية

بين الرجل والمرأة آية من آيات الله سبحانه التي تورث

الزوجين السكينة والطمأنينة، وهو أكثر ما يحتاجان إليه من

أجل ديمومة الحياة الزوجية، وصيرورتها حياةً ملؤها السلام

والرحمة والأنس والسعادة. يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

فالمودة والحبّ من أصول الحياة الزوجية، ومن دونهما

تصبح الحياة أشبه ما يكون بالوظيفة الخالية من الروح

1- سورة الروم، الآية: 21.

إلى المرأة من منظاره، وكذلك تنظر المرأة من دون أن يلتفت كل واحد منهما إلى أنه أمام كائنٍ مختلف عنه على المستوى النفسي أو الجسديّ.

إنّ عدم إدراك هذه الحقيقة توقع أكثر الأزواج في المشاكل، مع قدرتهما على تلافيهما عند أدنى تأمل في طبيعة تكوينهما وخلقتهما الإلهية. يقول الأستاذ مطهريّ حول طبيعة الاختلاف بين المرأة والرجل: "الرجل أكثر وقوعاً في أسر الشهوة من وقوعه في الحبّ، والمرأة أكثر وقوعاً في أسر الحبّ من وقوعها في أسر الشهوة. الرجل يريد امتلاك المرأة، والمرأة تريد تسخير قلب الرجل، الرجل يريد أن يأخذ المرأة، والمرأة تريد أن يأخذها الرجل، المرأة تريد من الرجل الشجاعة والبطولة، أمّا الرجل فيريد من المرأة الجمال والجادبية"<sup>(1)</sup>.

### الأصل الثاني: إشباع الحاجات الروحية.

الإنسان مخلوق عاطفيّ، وإشباع هذا البعد مرتبط بعلاقته مع الآخرين. فالإنسان يسعى بشكل مستمر لإقامة علاقات مع بقية الناس لسدّ هذا النقص وهذه الحاجة الوجودية. وتعود جذور هذه الحاجة الروحية إلى أعماق روح الإنسان نفسه، ويمكن إشباعها بوسائل مختلفة. يلعب الزوجان دوراً أساسياً ومحورياً في إشباع هذه الأبعاد، وهذا يضمن الاستقرار النفسي والروحيّ. ولن يهدأ بركان حاجات الإنسان المتمردة والمتوقّدة إلا بالحنان والمحبة والعطف، ومن وجهة نظر الدين، يشكّل اكتساب السكينة والمحبة عاملين أساسيين في إيجاد العلاقة واستمرارها بين الزوجين.

فالحاجة إلى المحبة، تعدّ جزءاً أساسياً من حاجته، ففي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قول الرجل للمرأة إنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبداً»<sup>(2)</sup>.

أما الهدوء والسكينة، فقد جعلهما القرآن الكريم من الأهداف الأساسية للزواج، حيث إنّ أنس الإنسان بالإنسان وشعوره بالسكينة في جواره، إنّما هو ثمرة استمرار المحبة، ونتيجة

1- الخامنئي، محمد؛ فلسفة الأنوثة؛ مقدّمة لحقوق المرأة في الإسلام، ترجمة حيدر نجف دار المعارف الحكيمة، ط1، (لا د)، بيروت، 2015م، ص: 142.

2- الكلينيّ، محمد بن يعقوب؛ الكافي، ط4، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407هـ، ج5، ص: 569.

قيام كل واحد من الزوجين بواجباته تجاه الآخر، ومن هذه الناحية كان وجود الزوج من وجهة نظر الدين، إلى جانب زوجه نعمة إلهية تستحق الشكر والاعتراف بالحق<sup>(1)</sup>. من هنا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وَحَقُّ الزَّوْجَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ - جَعَلَهَا لَكَ سَكَنًا وَأَنْسَاءً، وَتَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ»<sup>(2)</sup>.

### الأصل الثالث: إشباع الحاجات المادية والاقتصادية

يعتبر إشباع الحاجات المادية والجسدية من الأمور الأساسية التي تؤدي إلى الوصال من جهة بين الزوجين، وإلى استمرار هذا التواصل من جهة أخرى؛ بل إن أحد التفسيرات التربوية المهمة فيما يتعلق بحصول السكينة بين الزوجين، ترتبط بضرورة إشباع هذا الجانب<sup>(3)</sup>، «فإن لها حق الرحمة والمؤانسة، وموضع السكن إليها قضاء للذة التي لا بد من قضائها، وذلك عظيم ولا قوة إلا بالله»<sup>(4)</sup>.

كما إن سدّ الحاجات الاقتصادية له دور أساس ومحموري في تعزيز الرابطة العاطفية والمعنوية بين الأزواج، لذا أكد الإسلام على مسؤوليّة الرجل في تلبية حاجات زوجته الاقتصادية، وتأمين حاجات الأسرة ورفاهيتها، وإشاعة روح اليسر والتسامح؛ لأنّها تعدّ من المسائل الأساس في نجاح العلاقات الزوجية<sup>(5)</sup>. وقد ورد في الحديث الشريف: «إِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغَكُمْ عَلَى عِيَالِهِ»<sup>(6)</sup>.

خلاصة القول، إنّ المودّة والرحمة هما أساس الحياة الزوجية؛ بهما تصبح النفسان نفساً واحدة، ولا يعود يعمل كل طرف لأجل "الأنا" فقط، بل لأجل "نحن"، حيث يتعلّق بمصير شريكه؛ يبادل له أفراحه وأحزانه، يتعب لراحته وأمانته. عندها يعيش هو بالراحة والسكينة، ويدرك حقيقة معنى النفس الواحدة التي خلقها الله - سبحانه - بلطفه وحكمته.

- 1- براجع: مركز المصطفى العالمي للنشر والترجمة: أهداف التربية الإسلامية، ط1، قم، 1436هـ، ص: 279.
- 2- البروجردي، آغا حسين: جامع أحاديث الشيعة، ط1، منشورات فرهنگ سبز، قم، 1380هـ، ج25، ص: 537.
- 3- براجع: مركز المصطفى العالمي، أهداف التربية الإسلامية، (م.س)، ص: 280.
- 4- المجلسي، بحار الأنوار، (م.س)، ج71، ص: 14.
- 5- براجع: مركز المصطفى العالمي، أهداف التربية الإسلامية، (م.س)، ص: 281.
- 6- الكليني، الكافي، (م.س)، ج4، ص: 11.